الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

التعليم بين التوسيع والتجريد في المؤتمر الثقافي العربي :

أشارت الصحف في الأسبوع الماضي إلى أن وفد مصر في المؤتمر الثقافي العربي أبدى ملاحظات على جدول أعمال المؤتمر ، وذهب بعضها إلى التساؤل هل ينسحب الوفد من المؤتمر . . . ثم نشر أخيراً أن الأمر قد استقر على تعديل الجدول بما لا يخالف وجهة النظر المصرية .

ذلك هو ما نشر ، وهو كلام مجمل يدفع إلى التساؤل عن حقيقة المسألة . وتفصيل الموضوع أن اللجنة التي كانت الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية قد ألفتها لفحص الردود والتقارير المقدمة إلى المؤتمر ، والتي ذكرت أسماء أعضائها في الأسبوع الماضي أخرجت كتيبا يشتمل على تمهيد للمسائل التي ستعالج في المؤتمر ، و « تفريغ » للاجابات المختلفة التي وردت ردا على الأسئلة المرسلة من الادارة الثقافية إلى الجهات والهيئات الثقافية ، وتوصيات وضعتها اللجنة لتكون موضع مناقشة وبحث في المؤتمر .

بين الأسئلة التي وضعتها الادارة الثقافية : هل يسير التوسع في التعليم وفقا لخطة مرسومة ؟ ما الغرض الأساسي من تحديد التعليم ؟ ما وسائل التحديد ؟

وكانت وزارة المعارف المصرية — بطبيعة الحال — من الجهات التي وجهت إليها الأسئلة . ويظهر أنها شعرت من هذه الأسئلة بروح يخالف ما شرعت فيه — منذ تولى الأمر معالي الدكتور طه حسين بك — من التوسع في نشر التعليم ، بل تعميمه وتيسيره لجميع المواطنين . وظاهر أنه لا مكان « للتحديد » فيما يجري بين الناس ميسراً للجميع كالماء والهواء ، فلا مكان إذن للاجابة عن غرض أساسي للتحديد أو وسائل للتحديد ..

شعرت الوزارة — على ما يبدو — بأن تلك الأسئلة (تستجوب) في أمور تجري عليها السياسة التعليمية في مصر ، فظهر مكان إجابة وزارة المعارف المصرية في ذلك الكتيب أبيض ... وبإزائه تحت « ملاحظات » مايلي (أشار التقرير إلى أن اللجنة الثقافية المصرية قررت أن تدرس هذه المسائل في جلسات خاصة توطئة لمناقشتها في المؤتمر » .

أما (تمهيد) اللجنة و (توصياتها) فقد انبثت فيها أشياء (بيداجوجية) مما ضاق به الناس من قبل ، لأنه كان يضيق مجال للتعليم أمام أبناء الأمة ، فقد وجهت اللجنة ملاحظات ، مثل التوسع في التعليم دون إعداد عدة ودون خطة مرسومة ، وأوصت بالعناية بكيف التعليم وعدم الاقتصار على كمه ، وألا يضحى بارتفاع المستوى في سبيل الزيادة العددية المجردة .. إلى آخر هذه (البيد اجوجيات) التي أشبهها معالي الدكتور طه حسين بك تهكماً وسخرية ..

لقد ابتهج الناس في مصر ، واستراح الرأي العام ، إلى السياسة التعليمية الجديدة التي تقتضي تعميم التعليم ، بل رددت أنباؤها في أرجاء العالم مشفوعة بالثناء والاعجاب وقد كانت هذه السياسة استجابة لرغبة الشعب في تعليم أبنائه ، وتلبية لإلحاحه ، وأرواء لعطشه ، والشعب يريد التعليم ولا يستطيع أن ينتظر الخطط « البيداجوجية » ولا شيء يقنع أحدا من الناس أن يظل ابنه خارج المدرسة حتى يتعلم غيره تعليما جامعاً لشرائط البيداجوجية ، وما ينبغي لشيء أن يقنعه . فنحن الآن أمام حركة تعليمية هدفها التعميم قبل كل شيء ، ثم يأتي بعده ما يأتي من تحسين ورفع مستوى وعناية بالكيف .. إلخ .

ولقد اكتسبت تلك السياسة التعليمية صفة (القومية) لتأييد الرأي العام لها وفرح الأمة وانفعالها بها حتى تمثلتها وصارت جزءاً من كيانها ، ولم تعد سياسة وزير فقط أو رأي مفكر فحسب ،

بعد أن كانته

وعلى ذلك لم يكن ينبغي للهيئات التي تحضر المؤتمر أن تجعل (تحضيرها) امتلاك السياسة التعليمية القومية. وقد يحتج بحرية الرأي من حيث إن اللجنة عبرت عن رأيها، ولكن هذا مؤتمر يمثل الرأي التعليمي العام في البلاد العربية، ولأفراد اللجنة أن يبدوا آراءهم الفردية في مجالات أخرى، على أنهم أربعة، وهناك عشرات بل مئات من رجال التعليم لا يرون رأي الأربعة، فهل من حرية الرأي أن يفرض رأي هؤلاء باعتبار أنهم لجنة مختارة تضع توصيات ليوافق عليها المؤتمر؟ ومن المعروف أن المؤتمرات تجيز في اجتماعاتها عادة معظم ما يحضر لها. وثمة سؤال آخر: ما الأساس الذي بنى عليه اختيار اللجنة؟

وبعد فقد سلم الله... بالتوفيق بين وجهة النظر المصرية وجدول أعمال المؤتمر، وذلك بتوجيه مجرى المناقشة في المؤتمر إلى بحث الصعوبات التي تعترض نشر التعليم والتوسع فيه إلى جانب المسائل الأخرى التي يبحثها المؤتمر، وكان الفضل في ذلك لحكمة أعضاء وفد مصر، ولباقة المشرفين على إعداد المؤتمر ومرونتهم.

حول انشاء مدارس مصرية في الباكستان:

نشرت «أخبار اليوم» في عددها الأخير، ما يلي: «إنهم محمد علي علوبه باشا أمس الحكومة المصرية بأنها تركت يد الباكستان ممدودة في الهواء ولم تحقق طلبها الخاص بإنشاء مدارس مصرية في هذه الدولة التي يبلغ تعداد ها ضعف عدد شعوب الجامعة العربية»

ونحن نعلم أن علوبة باشا كان قد اقترح على الحكومة المصرية حينما كان سفيراً لمصر في الباكستان - أن تنشيء مدارس مصرية هناك لتعليم اللغة العربية والدين الاسلامي. واستقال سعادته بعد ذلك من منصبه، ولكنه ظل يردد الدعوة إلى إنشاء تلك المدارس في خطبه بالحفلات التي يقيمها مكتب الصحافة والدعاية بسفارة الباكستان في القاهرة، وكانت آخر مناسبة لذلك الاحتفال الذي أقيم أخيراً لذكرى إنشاء دولة الباكستان.

وعلوبة باشا رجل طيب، وهو يصدر في ذلك عن عاطفة تشعر جميعاً بها نحو هذه الأمة الاسلامية، ولكن هذا الذي يقوله كلام غير عملي، فمصر الآن تواجه مشكلة تيسير التعليم وتعميمه، ووزير معارفها يتحايل على ميزانية الدولة تارة، وأخرى يشعر بضيق هذه الميزانية فيحث الأغنياء على إنشاء المدارس، والمصريون يترقبون آملين أن تتسع المدارس لأولادهم جميعاً، وفيهم متشائمون لصعوبة الأمر وكثرة الطلبات.

مع كل ذلك وفي هذه الظروف تطالب الحكومة المصرية بإنشاء مدارس مصرية بالخارج، في الباكستان أو غير الباكستان مع إن من يسمع ذلك الكلام الذي يلقيه علوبة باشا في الحفلات الباكستانية، يخيل اليه أن سعادته لا يعلم شيئاً من مسائل التعليم في مصر، ولعله يحسب أن الحكومة فرغت من تعليم المصريين جميعاً ولم يبق عليها إلا أن تنشر دعاية تعليمية في قطر كبير المدد كالباكستان..

وإن استناد الحكومة الباكستانية أو سفارتها بالقاهرة إلى مثل تلك الدعوة، يدل على أنها غير جادة في هذا السبيل، لأن الطريق العملي هو أن تنشيء حكومة الباكستان تلك المدارس في بلادها وتستدعي للتدريس فيها مدرسين من مختلف البلاد العربية، لا أن تمد يدها في الهواء...

وقد كنت أتتبع أنباء تعليم اللغة العربية في الباكستان بأمل واستبشار، تلك الأنباء التي كانت تقول إن مدارس الباكستان أخذت في تعليم اللغة العربية، وإن الوزراء والكبراء أخذوا كذلك في تعلمها، وإن بعضهم تعلمها فعلا، وإن حاكم البنجاب أصبح يجيدها ويخطب بها. ولكن مر على ذلك ثلاث سنين ونحن لا نرى شيئاً من دلائل ذلك، فالسفير الباكستاني لا يزال يخطب في الجمهور المصري في القاهرة عاصمة العروبة باللغة الانجليزية.. فهل تمخضت الحركة كلها عن حاكم البنجاب..؟

افتتاح المؤتمر الثقافي :

عقد المؤتمر الثقافي العربي جلسته الافتتاحية بكلية الآداب بجامعة فاروق الأول بالأسكندرية يوم الثلاثاء الماضي . وقد بدأ الاجتماع بكلمة الأمين العام لجامعة الدول العربية عبد الرحمن عزام باشا ، وقد افتتح بها المؤتمر ورحب بالأعضاء ونوه بالغرض الذي أقبلوا من أجله وهو البحث والمناقشة في شؤون ثقافية قائلا بأن التعاون الثقافي بين دول الجامعة هو أهم ما يربط بينها ، وأشار إلى الجهود الثقافية التي قامت بها الإدارة الثقافية بالجامعة . وتحدث عن الأمة العربية باعتبارأنها أمة موحدة الثقافة تجمع بينها العروبة والإسلام اللذان كان لهما الفضل في عدم نشوء قوميات منفصلة.

وقد ختم سعادة عزام باشا كلمته باقتراح انتخاب معالي الدكتور طه حسين بك رئيسا للمؤتمر ، وأيد هذا الاقتراح رئيساً وفدي سوريا ولبنان . وقد قوبل ذلك بعاصفة قوية من التصفيق كانت إيذاناً بانتخاب معاليه رئيساً للمؤتمر . فنهض معاليه وألقى كلمة ضافية بدأها بقوله لأعضاء المؤتمر: لاأرحب بكم لأنكم في وطنكم، ولكني أنا في حاجة إلى أن أهدي إليكم أصدق الشكر على تفضلكم باختيار مصر موطناً لمؤتمركم الثاني ، وقد أتيح لنا بهذا الاختيار فرصة أن يلقي بعضنا بعضاً ويتحدث بعضنا إلى بعض في أحب الشؤون إلى النفس وهي الشؤون الثقافية . ثم قال : أما بعد فإنكم لم تأتوا إلى هنا لنتهادى التحيات ولم تجتمع لنثني على أنفسنا ، وإنما لننظر فيما قدمنا من شؤون الثقافة والتعليم ، وإنه لقليل ، والكثير ما بقي ، إنكم تزورون مصر في هذا الوقت الذي تقف فيه مصر من التعليم موقفاً دقيقاً ونحن نحتاج إلى أن نسمع منكم كما أنكم في حاجة إلى تسمعوا منا ، وأفاض معاليه في الحديث عن فتح أبواب التعليم في مصر على مصاريعها ، ولما جاء ذكر مجانية التعليم قال : إننا لم نأت بالمجانية من أوربا كما يقول بعضهم ، فالمجانية عربية قبل كل شيء ، فمدارسنا التي كانت تعلم التلاميذ في العصور الاسلامية الأولى وفي العصور الاسلامية أثناء القرون الوسطى وفي أوائل العصر الحديث كانت كلها تعلم الناس بغير أجر ، وكانت الدول العربية ترزق المعلمين دائماً والمتعلمين في أكثر الأحيان ، وما عرفنا بدعة بيع التعليم وشرائه إلا حين اتصلنا بأوربا أثناء القرن الماضي ، والآن أخذت أوربا بالمجانية ، ونعود نحن إلى المجانية ، فلا يجب أن يقال إننا نستعيدها من أوربا، وإنما ينبغي أن يقال إننا نحيي السنة العربية ونعود بالمجانية إلى العهد الأول ونجعل المدارس كالمدارس التي لا تزال محتفظة بمجانيتها منذ ألف عام .

ثم انتقل معاليه بعد ذلك إلى شؤون الأدب والثقافة العامة ، فقال : تعرفون أيها الزملاء ، وأنتم قادة الثقافة والأدب في البلاد العربية أن لنا تراثاً يجب أن نحتفظ به وتراثاً لا ينبغي أن نكتفي بالاحتفاظ به دائماً ، وإنما يجب أن نضيف إليه ، وتعرفون أن علينا حقوقاً أهملت في الأجيال الماضية وينبغي أن ينقطع هذا الإهمال ، وأن أجيالا قصرت في ذات العرب والعروبة والثقافة وينبغي أن ينقطع هذا التقصير وترد إلى العرب حقوقها ، وتعرفون أن العرب في العصور الإسلامية الأولى لم يقنعوا بما كان عندهم ، وإن كان عندهم كثير ، وإنما اتجهوا إلى الأمم المتحضرة التي سبقتهم إلى الحضارة وأخذوا خلاصة ما عندها وأضافوا إليه وكونوا الحضارة العربية الممتازة ، ولا أقول ممتازة فخراً ولا استكباراً واستعلاء ، وإنما أقول الحق الذي لا شك فيه ، هذه الحضارة العربية التي حملت الثقافة قروناً ونقلت نور الثقافة من الشرق إلى الغرب وأتاحت لأوربا أن تكون كما هي الآن ، هذه الحضارة قصر العرب في ذاتها وقتاً ، وآن لهذا الوقت أن ينقضي ، وآن أن نسترد مجدنا ، ونأخذ من أوربا صفوة ما عندها ، وتعطي العالم خلاصة ما عندنا ، وأن نكون في العالم أمة قوية عزيزة بنفسها ، وقد انقضى الوقت الذي كنا فيه نأخذ ولا نعطي ، وآن الوقت الذي لا ينقطع أخذنا فيه عن غيرنا ، ولكن يجب أن نضيف إلى ما نأخذ ، ويكون غيرنا محتاجا إلينا كما أننا محتاجون إليه . يجب أن نقرر هذا ونتدبر ونتشاور في الوسائل التي تتيح لنا أن نسترد مكانتنا ، وتتيح لأدبنا أن يكون أدباً عالمياً لا أدباً مقصورا